الخط المعياري: أداة لتسهيل كتابة اللغة العربية وتعلمها

Toward a standard Arabic font to facilitate Arabic learning and writing

أ. د. عبد المالك بوحجرة * Abdelmalek Bouhadjera

ملخص

سيتم في هذا المقال عرض الأسس التي بني عليها مقترح الخط المعياري لكتابة اللغة العربية بخط منفصل، و هو خط يحافظ على تقاليد الكتابة العربية العريقة، لأنه مبني على نموذج الخط الكوفي الذي استعمل في البداية لتدوين القرآن الكريم، قبل استبداله بالخط النسخي. وهذا الأخير أكثر ملاءمة للكتابة اليدوية. و فيما بعد، تم الرجوع إلى الخط الكوفي، و استعمل خصيصاً للزخرفة على جدران المباني و المساجد، و النقش على الآلات، لسهولة وجماليته النابعة من الخطوط المتوازية و المستقيمة في تمثيل الحروف. و إذا كان الخط النسخي يتلاءم مع الكتابة باليد، فالخط الكوفي له قابلية تجاوب أكثر مع الآلة.

كلمات مفتاحية: تعلم اللغة العربية، تسهيل تعلم العربية، كتابة اللغة العربية بسهولة، مفاتيح العزة، الخطوط العربية، خط النسخ، الخط المنفصل لكتابة اللغة العربية.

1. مقدمة

قد يتساءل كثير من الناس لماذا لا تكتب العربية بحروف منفصلة؟ هل هذا راجع إلى حروفها المدورة و المنحرفة، أم بسبب صعوبة كتابة بعض الحروف مثل الهمزة، أم لأن القرآن الكريم وصل إلينا مكتوباً بخط متصل؟ لقد طرحت على نفسي هذه الأسئلة منذ زمن طويل، و قرأت عدة اقتراحات في الكتب، و الجرائد حول تطوير الكتابة العربية، و لكن كنت أحس دائماً بأنه يوجد حاجز عظيم و مقاومة كبيرة تجاه تطوير الخط العربي، ترجع بالدرجة الأولى إلى الغموض واللبس الذي يحيط بكيفية تصميم الحروف العربية، و الطرق التقليدية الجامدة التي

* Prof Dr. Abdelmalek Bouhadjera, Algeria, Email: bouhadjeraa@yahoo.com إلى: مراسلة إلى:

تشرح ذلك. فلا بد إذن من دراسة علمية معمقة للخط العربي، و تاريخ تطوره عبر العصور إذا أردنا فهم سر هذا الخمول.

إن الفضل في اختراع حروف الأبجدية العربية يرجع إلى الشعوب العربية القديمة. و بما أن ظهور الحبر و الورق لم يتم سوى قرون عديدة بعد ذلك، فالكتابات الأولى كانت بحروف منفصلة، و من اليمين إلى اليسار، عند كل الشعوب القديمة التي استعارت الأبجدية الفينيقية. وتوجد أمثلة كثيرة على الكتابة المنفصلة للعربية في القديم [1]، كما تشهد عليه الآثار التي وصلتنا من جنوب الجزيرة العربية، و كذلك من جنوب الأردن، كما هو محفوظ في الخطوط الحميرية و النبطية. وقد استعمل الأنباط خطأً منفصلاً في الكتابة على الصخور و صك النقود، و خطأً متصلاً، طوّر فيما بعد، للاستعمال في المعاملات التجارية و الحياة العادية. و لم يكن استعمال خطين جنباً إلى جنب مجرد صدفة، بل له أسبابه المنطقية و العملية، ولأن الشعوب العربية في ذلك الوقت كانت لديها حرية التفكير، و تصبوا دائماً إلى تحقيق المزيد من التقدم و الازدهار، عبر استعمال كل ما هو جميل و نافع من تقاليدها، و تقاليد الحضارات الأخرى.

أما سبب الكتابة بخط منفصل على الصخور فيرجع إلى استعمال آلة حادة أو منقار. وهي عملية تتطلب جهداً و دقة، و لذلك فأغلب الحروف ممثلة بخطوط مستقيمة عمودية، كتبت من اليمين إلى اليسار لتسهيل نقشها. و كتجربة بسيطة، لو أخذت آلة حادة في يدك، و حاولت نقش خطوط على صخر ستلاحظ سهولة كتابة حرف مثل (ألف) أو (راء)، و صعوبة كبيرة في كتابة حرف مثل (صاد) أو (سين)، الأكثر ملاءمة مع الكتابة المتصلة. ربما لاحظت كذلك بأن تحريك اليد من اليسار إلى اليمين يتم بصعوبة و جهد كبير. و نفس الشيء يقال عند الجلوس إلى طاولة و الكتابة على الورق بواسطة قلم، و لو أن الجهد المبذول صغير بالمقارنة. و لقد أثبتت الدراسات الإحصائية بأن كثيراً من الكتاب في الدول الغربية كانوا يصابون بما يسمى بمرفق الكاتب، و هو ألم شديد في الساعد ناتج عن الكتابة، يشبه إلى حد ما الألم الذي يشعر به لاعب التنس.

وعندما استعملت الشعوب العربية في القديم الكتابة المنفصلة، كان ذلك لأسباب عملية بحتة. و لكن فيما بعد، و نظراً للتطور الحضاري، و ظهور الحبر و الورق، انتقلوا إلى طريقة أخرى في الكتابة للاستجابة إلى ضرورات و متطلبات الحياة الجديدة. و لتسهيل طلب العلم، و المعرفة، و نشر الرسالة الإسلامية، كان هنالك ضغط كبير من أجل ترجمة و إنتاج الكتب بسرعة أكبر. و من السهولة ملاحظة الاختلاف في سرعة الكتابة بين خط يدوي متصل و خط يدوي منفصل، فالكتابة في خط متصل تجعل الحبر وكأنه يسيل باستمرار على طول

الكلمات، بينما في الخط المنفصل توجد تقطعات بين الحروف، و هذا ما يقلل سرعة الكتابة. نفس الشيء حدث للخط اللاتيني حيث كان في الأول يكتب بحروف كبيرة منفصلة (MAJUSCULE)، و لنفس السبب الذي ذكر أعلاه طورت حروف صغيرة (minuscule) للكتابة بخط متصل.

ولم تدرك الشعوب في العصور الوسطى أهمية استعمال الخط المنفصل كما حدث من قبل. و لهذا فمعظم الكتب و النقوش و الزخارف التي وصلتنا من تلك الفترة تمت بواسطة خط متصل في الخطوط المختلفة. و لذلك، فانتشار العلم و المعرفة كان دائماً محدوداً بين الطبقات الحاكمة و الغنية، نظراً للأثمان الباهظة في تخطيط الكتب و ندرتها.

وعلى الرغم من أن العرب و المسلمين بصفة عامة انتبهوا إلى معظم الاكتشافات و الاختراعات التي ظهرت في العصور الوسطى، و يرجع لهم الفضل أيضاً، و إلى حد كبير في استمرارية العلم و الفلسفة، و نقل الحضارة الإنسانية إلى أوروبا، إلا أنهم فشلوا في ملاحظة بأن كل حرف عربي له وزنه في كل الكلمات العربية و بالتالي فالعربية أكثر قابلية للكتابة بخط منفصل من أية لغة أخرى. و من الألباز المحيرة ، هو عدم تنبهم للطباعة بواسطة الرموز المتحركة التي ظهرت لأول مرة في الصين عام 1041م.

وربما الشيء الوحيد الذي يفسر ذلك، هو أن الخط العربي المتصل و صل في ذلك الوقت، و في فترة قصيرة من الزمن إلى درجة كبيرة من الإتقان و الكمال في كتابة القرآن و الزخرفة. و بطبيعة الحال، أصبح جزءاً لا يتجزأ من الهوية الثقافية للشعوب الإسلامية و لم تتحقق فائدة من اللجوء إلى نماذج أخرى في الكتابة. ومما لا شك فيه، و باعتراف كثير من الأجانب، لا يمكن مقارنة جمال و سهولة كتابة الخط العربي المتصل بأي خط آخر في العالم. و كمثال على انبهار الغرب بجمال و رونق الخط العربي، أنهم كانوا يزينون مبانيهم في العصور الوسطى، و حتى عصر النهضة بكتابات من الخط العربي، مثل عبارات "لا إله إلا الله" التي كانوا يجهلون معناها [2].

ومن الطبيعي، أن الشعوب الأقل قابلية للتغير و التطور، هي تلك التي وصلت إلى درجة كبيرة من التقدم و الازدهار في عاداتها و تقاليدها فتجاهل ما يحدث من حولها. و هذا ما يؤدي في المدى القريب أو البعيد إلى ضعفها و انحطاطها. وتوجد عدة أمثلة عن حضارات قديمة وصلت إلى درجات كبيرة من التطور ثم انحطت و اندثرت بعد ذلك، و هذا بالضبط ما حدث للحضارة العربية الإسلامية. فانحطاطها اقترن مع نهضة الدول الأوروبية في جميع الميادين، و من بينها الطباعة، التي بدأت في ألمانيا منتصف القرن الخامس عشر، و انتشرت بسرعة عبر كل بلدان أوروبا، لتحدث ثورة عظيمة في ميدان الكتابة و انتشار العلم و المعرفة، حيث كادت أن تخفي

الكتب و النسخ المكتوبة باليد نهائياً من السوق بعد أقل من قرن على ظهور الطباعة الآلية. و بما أن معظم اللغات الأوربية حافظت على خطها المنفصل إلى جانب الخط المتصل، فالطباعة بالرموز المتحركة لم تحدث تغييراً كبيراً في تقاليد الكتابة، و بالتالي فالاختيار كان بسيطاً. و ظهر بأن الكتابة المنفصلة تتلاءم أكثر مع أسلوب الطبع الجديد. و لو أنه في النهاية أحدثت تغييرات و تحسينات طفيفة على كل من الخطين لجعلهما أكثر ملاءمة مع الرموز المتحركة. و لهذا، نلاحظ الآن بأن اللغات الأوربية تحتوي على أبجديتين مختلفتين.

ولقد قطعت أوروبا أشواطاً طويلة في الطباعة قبل أن يبدأ العرب في استرجاع قواهم و النهوض من سباتهم العميق. ولكن عندما فتحوا أعينهم، وجدوا بأن الهوة بينهم و بين الغرب كبيرة جداً، فكانت صدمة شديدة لا يزال أثرها واضحاً حتى الآن. و انعكس كل ذلك على الساحة الثقافية و السياسية للعرب و المسلمين، و أصبح من الصعب الاتفاق على عمل شيء معين أو بداية مشروع، و بالطبع فاللغة العربية لم تكن بمنأى عن تلك التناقضات، و لهذا فضلت الأغلبية وضع الثقة في "الأجداد"، و الاستمرار بما وصلوا إليه من نتائج و أفكار، دون تطوير أو تغيير.

وعندما ظهرت الطباعة أولاً في الصين، كانت تتم بطريقة بدائية و لم تنافس أبداً الكتابة باليد، و لكن في أوروبا، و في مرحلة قصيرة جداً، وصلت إلى درجة فائقة من التطور، حيث أصبحت كل المنشورات تتم آلياً. أما في العالم العربي و الإسلامي، فقد كانت أول محاولة لطبع الخط العربي في إيطاليا سنة 1514م، و من طرف مستشرقين مسيحيين [3]. و كان لبنان أول بلد عربي وصلته الطباعة سنة 1610م، مع تأسيس مطبعة المنستير، تلاه مصر، حيث أدخلت إليه الطباعة مع البعثة النابوليونية سنة 1798م، و بدأت مطبعة بولاق العمل رسمياً سنة 1821م، و لم تظهر أول جريدة إلا في سنة 1828م (وهي جريدة الوقائع المصرية).

وفي بداية القرن التاسع عشر، تم نقل مطبعة عربية كانت في مالطا إلى بيروت من طرف بعثة مسيحية بروتستانتية، و طبع أول كتاب عربي من طرف المطبعة الكاثوليكية سنة 1854م. أما في المغرب العربي، فلم تظهر الطباعة العربية إلا سنة 1874م، مع نشر جريدة المبشر في الجزائر. و كما يدل اسمها، فهي كانت وسيلة تبشيرية لنشر المسيحية في الجزائر من قبل الفرنسيين.

والنتيجة التي يمكن استخلاصها مما سبق، هي أن كل المحاولات الأولى لطبع الخط العربي تمت من طرف أجنب، لا سيما المبشرين الذين لم تكن لديهم دراية واسعة بالكتابة العربية، و واستعملت المطابع الأولى ما يزيد على 400 رمزاً لطبع الخط النسخي، كما هو مكتوب باليد، دون تحسين أو تغيير كما هو الحال مع الخط

اللاتيني. و من هنا بدأت الفكرة تتبلور بأن العربية لغة صعبة، وغير مستساغة، ولا تتماشى مع العصر. أمر آخر ساهم في عرقلة تطوير الخط العربي وهو أن الشعوب الإسلامية غير العربية، لم تدخل مرحلة الطباعة بالرموز المتحركة إلا بعد المرور بمرحلة الطباعة الحجرية، كما حدث في الهند، و تركيا، و إيران. فالطريقة الأخيرة لها مرونة كبيرة في تمثيل الصور، و الخط العربي التقليدي بأشكاله الزخرفية. و كل هذه الخصائص لا تزال واضحة فيما يسمى بالخط "النستعليقي" أو الفارسي.

ومع بداية نهضة العالم العربي و الإسلامي، و استرجاع شعوبه لسيادتها السياسية و الاقتصادية، ظهرت الحاجة من جديد إلى تعميم العلم و المعرفة باستعمال وسائل عصرية. و لهذا، بدأ الكثير من المفكرين و الباحثين في البلدان العربية بالمناداة بإصلاح الإملاء و الكتابة العربية حتى يتسنى صنع مطابع، و آلات كتابة عربية رخيصة الثمن و في متناول الجميع. وتراوحت الاقتراحات بين استبدال الخط العربي بالخط اللاتيني، كما نادى به سلامة موسى [4] في كتابه البلاغة العصرية و اللغة العربية (القاهرة 1945م)، إلى استعمال خط وحدوي منفصل، كما نادى به نصري خطار [5] في مقالته الخط الوحدوي: سلاح ضد الأمية في جريدة الكلية (ماي 1955م). نفس الاقتراح نادى به يوسف غصوب [6] في مقالته إصلاح الأبجدية العربية في جريدة المشرق ثلاثين سنة من قبل.

ادعى نصري خطار في اقتراحه بأنه يمكن استبدال الـ 400 رمزاً التي كانت تستعمل في الطباعة العربية بـ 30 رمزاً فقط، تمثل 28 حرفاً أبجدياً منفصلاً، زيادة على التاء المربوطة، و المقطع لا. ثم ظهرت محاولات أخرى كثيرة منذ بداية هذا القرن، كلها تهدف إلى إصلاح الخط و الطباعة العربية، من بينها اقتراح محمود تيمور سنة 1951م، في مؤتمر الأكاديمية العربية الذي عقد بالقاهرة، واقتراح آخر مشابه أدلى به زهير الشيهابي [7] في مقالته "مشروع لكتابة الحركات بحروف عربية"، جريدة الأكاديمية العربية (سنة 1929م)، و آخر قام به أحمد لخضر غزال، مدير معهد التعليم الأساسي بالمغرب، في الخمسينيات [8] حيث مكنته تجربته الطويلة في التعليم من الاستخلاص بأنه لا بد من تخفيض عدد الرموز المطبعية للقضاء على الأمية. و بعد بحث معمق دام سبع سنوات، توصل غزال إلى تصميم خط عربي خال من الزخرفة، و يحتوي على 90 رمزاً فقط (يشمل كل حروف الأبجدية، بما فيها صور الحروف في بداية، وسط و نهاية الكلمات، زيادة على الأرقام و رموز أخرى). و لتبيان ذلك، قام بنشر جريدة بهذا الخط أطلق عليها اسم "منار المغرب"، موجهة بالدرجة الأولى إلى المثقفين. و بعد ذلك اتخذت الحكومة المغربية سنة 1958م قراراً مهماً لتبني النظام الجديد و استعماله في الإدارة، و طبع الكتب المدرسية.

و هكذا لم يمر وقت طويل حتى انتشرت هذه الكتابة المختصرة إلى لبنان في نفس العام، و بقية الأقطار العربية فيما بعد، كما أن سبب نجاح هذا الاقتراح يرجع بالدرجة الأولى إلى كونه يتجاوب مع متطلبات العصر دون المساس بتقاليد الكتابة العربية الأصيلة. و كما نلاحظ الآن، لقد حدث "تطور" كبير في طبع الخط العربي المتصل، و لكن كل الاقتراحات المتعلقة بالخط المنفصل واجهت معارضة شديدة لعدة أسباب، من بينها:

1- كون جل المقترحات تقليد غير مدروس للخط اللاتيني، دون مراعاة الذوق العربي، و الطابع المميز للحروف العربية.

2- عدم التمييز بين فن الخطاطة اليدوية و تقنية الطباعة الآلية.

3- لم تكن هنالك دراسة معمقة للخط العربي، من أجل فهم دور و أهمية كل حرف في الأبجدية، لا سيما الهمزة، حيث فشلت كل الاقتراحات في تمثيلها كما ينبغي في الكتابة المنفصلة.

و لأسباب تاريخية تتعلق بظهور الكتابة، لا تعد الهمزة حرفاً كبقية الحروف. و إذا كان هنالك رمز يساء فهمه من طرف أغلبية الناس فهو بدون شك الهمزة. و على الرغم من وجود هذا الصوت في لغات أخرى، إلا أن العربية هي اللغة الوحيدة في العالم التي أعطته رمزاً مختلفاً عن حرف الألف، و لو أنه يوجد بعض الخلط عند طبعه في الكتابة الحديثة المختصرة. و يجب التوضيح هنا، أن كل قواعد كتابة الهمزة هي بسبب الخط المتصل، و لو استعملت حروف منفصلة عند تدوين القرآن في البداية، ربما لما كانت هنالك حاجة لوضع تلك القواعد كما سنرى أدناه.

و على الرغم من أن كتابة الهمزة تبدو للوهلة الأولى معقدة، إلا أنها مبنية على المنطق، حيث راعى فيها أجدادنا جمال و رونق الخط العربي، و سهولة كتابته. و في البداية، عندما ظهرت الأبجدية، كان حرف واحد (الألف) يستعمل للدلالة في آن واحد على حرف صائت كما في كلمة (مال)، و حرف صامت كما في كلمة (مروءة)، مثله كمثل حرف (واو) وحرف (ياء). فكل منهما لا يزال يدل في الأبجدية العربية، و معظم الأبجديات الأخرى، على حرف ثنائي. و في اللغات الأوربية، لا توجد الهمزة إلا نادراً و يتم تمثيلها برموز مختلفة، و كما هو معروف فأبجدية اللغات الأوربية لا تمثل أصواتها بكفاءة، و الهمزة ليست بحالة شاذة [9, 10]. و لكن يختلف الأمر بالنسبة للعربية، حيث نجد الهمزة في كل المواضع، في مقدمة، وسط و نهاية الكلمات، و لهذا السبب رأى العرب من الضروري تمثيلها برموز مختلف، حتى لا يكون هنالك التباس في القراءة و الكتابة. و من جهة أخرى، لم تكن هنالك حاجة في تمثيل حروف الـ (واو) و (ياء) برمزين مختلفين، و هذا لأن المقطع (وو) لا وجود له في العربية و المقطع (يي) لا يقع سوى في وسط الكلمات.

لنتخيل الآن بأنه يوجد رمز واحد فقط (ا) لتمثيل الحرف الصائت، الألف و الهمزة، و نستعمل هذا الاصطلاح في كتابة الكلمات التالية:

قرآن، مؤامرة، رئيس، سماء، أمل، إبهام، مروءة.

و التي تصبح:

قران، مامرة، رايس، سما، امل، ابهام، مرواة.

فكما نلاحظ، سيكون هنالك التباس في قراءة الكلمات الأخيرة. فكلمة (قرآن)، مثلاً، ستصبح قراءتها (قراثن)، و (مؤامرة) تصبح (مأمره) و (مروءة) تصبح (مرواة) إلخ. والأمثلة كثيرة، و لهذا السبب أدخل العرب رمزاً جديداً (الهمزة) لتمثيلها، ووضعوا قواعد كتابتها. ولكن، التعقيد الرئيسي في كتابة الهمزة ناتج عن وضعها على الحروف الصائتة، و اختيار الحرف الحامل للهمزة يتبع في معظم الأحيان حركة الحرف الذي يسبقها، كما في (مؤامرة)، فالواو (الحرف الحامل) يتبع حركة حرف الميم (الضمة).

وإذا أردنا أن نكتب العربية بخط منفصل يجب أن ننظر إلى الهمزة كما ننظر إلى الحروف الصائتة الأخرى [10-14]، لأنها تنتمي إلى حروف الوقف مثل: ق، ك، د، ت، ط. فموضع إخراجها يقع في الحنجرة، و من وجهة نظر صوتية و لغوية فإنها تنطق بنفس الطريقة التي تنطق بها حروف الشد الأخرى في الأفعال العربية المختلفة، كما في الأمثلة التالية:

إفعال = ت م س ا ح = ع ب ه ا م

مفعلة = م م س ح ع = م ع ذ ن ة

مفتعل = م ج ت م ع = م ع ت م ر

فعال = ج م ا ل = س م ا ع

و يجب كذلك أن تكتب مستقلة عن الحروف الصائتة، باعتبارها كحرف كامل الحقوق من حروف الأبجدية في الخط المنفصل. و يمكن عندئذ الاستغناء عن رموز عديدة في الكتابة:

ع، ؤ، أ، إ، ئ = ع

ا، أُ = ا

آ = اء

لقد تم استبدال ثمانية رموز كاملة برمزين فقط، و على الرغم من ذلك، فالاصطلاح الجديد أكثر وضوحاً و دقة في كتابة العربية لأنه يوجد فرق شاسع بين همزة الوقف (ء)، و الحرف الصائت (ا). إن همزة الوقف هي الهمزة الحقيقية، و لهذا يجب تمثيلها برمز الهمزة وحدها، و هي تقع في بداية أو وسط أو نهاية الكلمات كبقية الحروف الصامتة. أما همزة الوصل (ا) فتقع في بداية الكلمات و (ال) التعريف، و تستعمل كما يدل عليها الاسم، لربط أو وصل الكلمات في الجمل، و يجب الدلالة عليها دائماً بحرف الألف، لأنها في علم الصوتيات أقرب إلى الألف منه إلى الهمزة.

أما همزة المد (آ)، فيجب تمثيلها بالمقطع (ءا). و هذا الاصطلاح يستعمل دائماً في كتابة القرآن بالخط النسخي. حيث تكتب كلمات مثل (قرآن)، (رؤوسهم) و (آمنوا) كما يلي: (قرءان)، (رءوسهم)، و (ءامنوا). ولا بد من الإشارة هنا إلى نقطة مهمة، و هي تتعلق بوجود وضع منهجية واضحة أثناء تصميم أبجدية جديدة و هذا ما كان غائباً في كل الاقتراحات السابقة، مما أدى إلى غياب الانسجام و الدقة في تمثيل الحروف.

قام العرب في الماضي باتباع نوع من المنهجية في تصميم الحروف، و أحسن مثال على ذلك هو استعمال النقطة، الألف و الدائرة، كمقياس في رسم حروف الخط الثلثي و النسخي [14-17]. و لكن في الحاضر غاب النظام و المنطق العلمي و المنهجية في وضع المصطلحات و تفسير الظواهر الطبيعية و سائر شؤون الحياة مما أدى إلى فوضى كبيرة وغموض و عدم فهم الأشياء على حقيقتها. و ربما أهم عمل في هذا الميدان تم في العصر الحديث، هو ما قام به المستشرق روبرتو هام [18] ولخصه في كتابه، "من أجل حروف مطبعية عربية". حيث اقترح منهجية علمية في تصميم الخط العربي، و لم يدعي في كتابه بأنه وصل إلى نتيجة مرضية، لكنه شرح و بإسهاب الطريقة التي يجب أن يركز عليها أي بحث جدي في تصميم الخطوط.

2. كتابة العربية بالحاسب

لا يمكن التطرق لموضوع كتابة العربية بالحاسب دون الفصل في أهم المصطلحات المستعملة في ميدان الكتابة والخط. إن عدم وجود مصطلحات واضحة في العربية [19] تعبر على أشياء و مفاهيم حديثة يمثل أكبر عائق أمام العرب في الاستعمال الصحيح و الجيد للتقنيات الحديثة قبل تطويعها لخدمة العربية، و ما يترتب عن ذلك من سهولة في استعمالها و تدريسها. إن المشكلة ثقافية أكثر منها علمية. و من أجل فهم الآخر، و الاستعمال الصحيح لمصطلحاته، لا بد من الانغماس في ثقافته.

ولم يكن بالإمكان الوصول إلى النتائج المعروضة في هذا البحث لولا الدراسة المقارنة [20] للغة العربية بأهم اللغات الحديثة، و محاولة إيجاد مصطلحات دقيقة مكافئة في العربية، وترتيب واضح للحروف العربية، و ذلك بوضع مصطلحات سهلة للتمييز بين حروف الشد (consonants) وحروف المد (vowels) و هو الذي أدى إلى ترقية الهمزة و اعتبارها كحرف شد مستقل، كامل الحقوق في الخط المعياري.

ولا بد كذلك من إيجاد مصطلحات للتمييز بوضوح بين ما يسمى في الإنكليزية calligraphy و typography. و لأسباب تاريخية محضة، عاش العرب و المسلمون و لقرون على هامش الثورة العلمية و التكنولوجية برفضهم تبني أسلوب الطباعة في نشر العلم و المعرفة. و لهذا السبب لا يوجد حتى الآن عند العرب تمييز بين ما يمكن تسميته بالخطاطة اليدوية (callygraphy) و الخطاطة المطبعية (typography). ولكن هناك مصطلح واحد يدل على ذلك و هو "الخط العربي"، و ما أنجر عن ذلك من غموض و عدم إدراك و تقبل لفن الخطاطة المطبعية، و التي يجب أن تبنى على تقنيات علمية زيادة على الأمور الجمالية. فيمكن القول و بكل بساطة بأن هذا الفن الأخير لا وجود له في العربية لحد الآن ما دامت الحروف المطبعية العربية هي صورة طبق الأصل للكتابة اليدوية.

وعلى الرغم من أن الطباعة كانت سابقاً لا تتلاءم كثيراً مع الخط المتصل سواء في العربية أو أية لغة أخرى، ولكن العرب بذلوا جهوداً معتبرة في هذا الميدان، و طوروا آلات طبع حديثة (في مخابر أجنبية)، لا تزيد تعقيداً عن الآلات المستعملة في طبع الخط اللاتيني المنفصل. و لذلك نرى الآن بأن كل المطبوعات في العربية تتم بخط متصل متفاوت النوعية، و كل الصعوبات في كتابته دُلَّت، و من الصعب إدراكها. و لكن المشكلة، و كما حدث في الأيام الأولى من ظهور الطباعة، نحن من جديد في خضم ثورة تقنية عظيمة، تتمثل في اختراع كبير، ألا و هو الحاسب. فهذه الآلة قلبت رأساً على عقب كل القوانين و الأنظمة التي كانت تستعمل من قبل، حيث انتقل الحاسب في فترة تاريخية وجيزة من المخابر و الاستعمالات المتخصصة ليكتسح كل مجالات الحياة، و ظهر وسط جديد لنشر المعرفة لا مثيل له في تاريخ الإنسانية، مستغلاً القوة السحرية لهذا الجهاز، ألا و هو الإنترنت. و كما يدل عليه هذا البحث، توجد لدينا حرية كبيرة في استعمال أحدث ما وصل إليه العلم و التكنولوجيا من أجل تصميم خط جميل يتماشى مع متطلبات العصر، و خال من كل "النقائص" المرتبطة بالخط المتصل عند كتابته بواسطة الحاسب.

لقد كانت البشرية، و حتى ماض قريب، تعيش في عالم متصل يسيطر عليه الإنسان بطبيعته المتصلة (نسبة إلى الحواس التي تعمل بالإشارات المتصلة، سواء كانت كهربائية، أو ميكانيكية أو غيرها)، إلا أننا نعيش الآن في عالمين متداخلين، عالم عادي متصل analog world و عالم افتراضي منفصل digital world تسيطر

عليه الآلة بطبيعتها المنفصلة. وبدأت بوادر ظهور عالم جديد يفضل التعامل بإشارات منفصلة مع اختراع الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر، كما ذكر أعلاه، و كل الشعوب التي أدركت معنى ذلك، تمكنت من مواكبة التقدم التكنولوجي و المساهمة في إثرائه. ولقد كان العالم، و إلى وقت غير بعيد، يتحرك بسرعة بطيئة، نظراً لأن الكثير من العقبات التقنية في معالجة المعلومات كانت لا تزال قائمة، و لكن عجلة التقدم تسير بسرعة كبيرة الآن، حيث من الصعب الاطلاع على كل هذه التطورات و المستجدات التي تحدث تقريباً كل يوم.

و على الرغم من التعقيد الذي يبدو في عالم الإنترنت و المعلوماتية، إلا أن الاختراعات و الأجهزة التي يتم تطويرها و إنتاجها بسرعة مذهلة (لتعويض أجهزة أخرى لا تزال صالحة) تقوم بإنجاز العمليات البسيطة التالية: خزن، معالجة، إرسال، وعرض للمعلومات. وقبل اختراع الآلات الحديثة و الحاسب، كانت هذه العمليات تتم يدوياً حيث أظهر الإنسان في العصور الوسطى مهارة كبيرة في استعمال الحبر و الورق، و طور كتابة متصلة لتحقيق هذا الغرض. و قد تفوق العرب في هذا المجال، نظراً لتكثيف الحرف العربي و بأنافة الفائقة مع الكتابة المتصلة. وكانت الغاية المنشودة دائماً، و لا تزال، هي السرعة، الدقة و الكفاءة في إنجاز هذه العمليات. ولم يجد الأوروبيون أيضاً صعوبة كبيرة في تكثيف خطوطهم مع الحاسب، ذي الطبيعة المنفصلة، لأن تلك الخطوط تم تطويرها مع ظهور الطباعة، ولكن لم يدرك العرب بعد أهمية الكتابة المنفصلة. و الشيء الذي جعل المسألة أكثر تعقيداً هو كون العالم العربي مستهلكاً و ليس صانعاً للتقنية، و بالتالي فالمشاكل العملية النابعة من استعمال الخط المتصل مع الآلة لا يمكن تداركها بسهولة، لأن الحول في كتابة و طبع الخط العربي تأتي جاهزة بسليباتها و إيجابياتها من المخابر الغربية.

و ما دام الإنسان العربي يشاهد الخط العربي كما هو سواء كتب باليد أو بواسطة الآلات الحديثة أو الحاسب، سيبقى متقوقاً في عالمه المتصل و الذي يتميز بالهوائية، أي عدم الدقة و قلة السرعة و الكفاءة. و هذا بالمقارنة مع عالم الاحتراف الذي لا يمكن بلوغه و إدراكه إلا بتعلم لغة أجنبية تستعمل الخط المنفصل. وإذا كانت هنالك بعض السهولة في تغطية نقاط الضعف في طباعة الخط المتصل بواسطة الآلات التقليدية، فهي تظهر جلية أثناء كتابته بواسطة الحاسب، و هذا نظراً للفنيات الخاصة بخزن الحروف و تمثيلها على شاشة الحاسب، و الحل الوحيد يكمن في الخط المنفصل.

إن الانتقال من خط إلى آخر في الكتابة ليس بمسألة سهلة، كما يدل عليه تاريخ الخطوط المختلفة، و بالخصوص كيفية ظهور الحروف الصغيرة في الخط اللاتيني المتصل، حيث استغرقت قرون عديدة، و لم تصل إلى شكل مقبول إلا حديثاً. وعلى الرغم من أن هذا الخط طور من أجل الكتابة باليد، إلا أن كل الحروف فيه تمثل بشكل واحد مهما كان موقعها في الكلمة، و هذا ما ساعد في طبع اللغات الأوروبية بخط منفصل فيما بعد.

ولقد ظهرت في البداية، و بعد انتشار الطباعة على كل الأقطار الأوروبية، عدة أبجديات وطنية في ألمانيا، فرنسا، إنكلترا، و غيرها. وكان هنالك تنافس كبير بين مختلف كثير من أنماط الخطوط من أجل فرض وجودها و بسط نفوذها على نطاق واسع، لأنها كانت تعتبر جزءاً من الهوية الثقافية، واحتل الخط الروماني المرتبة الأولى من حيث الانتشار والاستخدام لفترة طويلة. بما أن سر نجاح وانتشار خط معين يكمن إلى حد ما في انسجام و تناسق حروفه من أجل تكوين عائلة في غاية التنوع (لتسهيل تمييز الحروف)، و لكن في نفس الوقت تمتاز بملامح مشتركة (نابعة من تقاليد الكتابة)، فقد استجاب الخط الروماني لهذه المتطلبات، و مثل اللغات الأوروبية بكفاءة.

أحدث ظهور الحاسب في النصف الثاني من القرن الماضي زوبعة كبيرة في ميدان الكتابة، حيث أصبح من الضروري إعادة النظر في تصميم حروف الخط اللاتيني حتى تتلاءم أكثر مع الآلة الجديدة. ويرجع ذلك إلى كون الحاسب يعتمد على المنطق في عمله، و لا بد من ترتيب المعلومات في شكل بسيط و متسلسل حتى يتسنى للحاسب حفظها و معالجتها. و لإظهار الحروف على شاشة الحاسب، يجب إيجاد حل لترتيبها في شبكات تحتوي على خلايا محدودة.

ولحسن الحظ، إن التفكير في كتابة العربية بخط منفصل بدأ مع التطورات الأولى للحاسب. في البداية، كانت كل من ذاكرة الحاسب، سرعته و شاشات العرض متواضعة جداً. و التحدي الذي طرح نفسه بالنسبة لكل لغات العالم، هو تصميم كل الرموز المطبعية بوضوح داخل شبكة تتكون من 5 X 7 خلية أو نقطة. وبالنسبة للخطوط الأوروبية، لم تكن لديها حرية الاختيار لأن الخط المنفصل موجود و تم استقرار صور حروفه منذ زمن طويل، و لا بد من استعمال نفس أشكال الحروف مهما كانت نوعيتها في النهاية. ومع ذلك، فهناك عدة مشاكل في كتابة الخط اللاتيني بواسطة الحاسب، على الرغم من احتوائه على أبجديتين مختلفتين، إذ لا يمكن تصميمها بكفاءة عالية، نظراً لكثرة الخطوط الدائرية، و العمودية و المائلة التي تحتويها.

هناك فرصة جيدة للخط العربي لإظهار قوته و فرض وجوده من جديد بالاستفادة من الحرية الكبيرة في تصميم الحروف العربية، التي ترجع بدورها إلى التنوع الكبير في أشكالها، و كذلك إلى عدم وجود الخط المنفصل.

3. الخط المعياري

لقد تم اقتراح تطوير خط معياري (أو موحد) من أجل طباعة اللغة العربية بخط منفصل (الخطاطة المطبعية)، و هو مستمد من تقاليد الكتابة العربية العريقة، لأنه مبني بالدرجة الأولى على نموذج الخط الكوفي الذي استعمل في البداية لتدوين القرآن، قبل استبداله بالخط النسخي، الذي هو أكثر ملاءمة للكتابة باليد (الخطاطة اليدوية). فيما بعد، تم الرجوع إلى الخط الكوفي، و استعمل خصيصاً للزخرفة على المباني و المساجد، و النقش على الآلات، لسهولة النابعة من كثرة الخطوط المتوازية و المستقيمة في تمثيل الحروف. كما هو موضح في الشكل 1، يتم تصميم الأبجدية الموحدة حسب أسلوب دقيق، حيث تركز كل الحروف على قاعدة واحدة، و تأخذ ارتفاعات مختلفة تتسجم مع الكتابة المتصلة، و تأخذ بعين الاعتبار نتائج الأبحاث الحديثة في تسهيل القراءة. إن الخط المركزي المنقط مهم جداً في تصميم أشكال الحروف لأنه يساعد على تقليل حدة التباين بين صور الكلمات في الخط المنفصل و المتصل. و لقد أثبتت التجارب بأنه عند القراءة، نركز على أشكال الكلمات عوض الحروف ويلعب ارتفاعها دوراً هاماً في تمييز بعضها عن بعض.

شكل 1. كل الحروف تركز على قاعدة واحدة و تأخذ ارتفاعات مختلفة تتسجم مع الكتابة المتصلة و تساعد على القراءة

وتعطي كتابة الحروف فوق قاعدة واحدة صورة منسقة للخط المنفصل. فرموز هذه الأبجدية تقع على ارتفاعات مختلفة و هي كما يلي:

الارتفاع 1 : ا، خ، ش، ض، غ، ك، ل، ة .

الارتفاع 2 : ث، ذ، ط، ظ .

الارتفاع 3 : بقية الحروف.

الارتفاع 4 : ر ، س ، ي.

ويمكن تلخيص المفاهيم التي بنيت عليها الأبجدية الموحدة فيما يلي:

- 1- تستمد أشكالها من الخط الكوفي.
- 2- تصميم كل الحروف تم في قالب مكون من 5X7 خلية.
- 2- تحتوي على 29 حرفاً أبجدياً، تبدأ بالهمزة. زيادة على الهاء النهائية، التاء المربوطة، و الألف المقصورة (32 رمزاً في المجموع).
- 4- الهمزة كحرف صامت كامل الحقوق.
- 5- همزة القطع تمثل برمز الهمزة فقط (ء) مهما كان موضعها في الكلمة.
- 6- حرف ألف، و همزة الوصل يمثلان دائماً برمز واحد (ا).
- 7- همزة المد (آ) تمثل دائماً بالمقطع (اء).

شكل 2. أبجدية الخط المعياري تسمح بكتابة العربية بوضوح و دقة باستعمال 32 رمزاً فقط (29 حرفاً أبجدياً تبدأ بالهمزة + 3 رموز مساعدة)

وهذه الأبجدية (شكل 2) تسهل دراسة العربية بالنسبة للأطفال و المبتدئين، لأنها تخفف من مشكل كتابة الهمزة، و كذلك الأشكال العديدة للحرف الواحد الموجودة في الخط المتصل في بداية، وسط أو نهاية الكلمة. ويمكن استعمال هذه الأبجدية كنقطة انطلاق من أجل تصميم عدد لا متناهي من خطوط أخرى تتسجم مع الطباعة و الآلات الحديثة، كالحاسب. و على سبيل المثال، بإدخال تحسينات طفيفة على الأبجدية الموحدة يمكن جعلها أكثر انسجاماً مع الكتابة المتصلة، كما هو موضح بالشكل 3.

شكل 3 رغم بساطة هذه الحروف إلا أنها تحافظ على جمال و رونق الخط العربي الأصيل. يمكن استعمال الخط المعياري كقاعدة انطلاق لتصميم ملايين الخطوط المطبعية العربية

4. النتائج المتوقعة

يمكن تلخيص أهم النتائج المتوقعة، التي تترتب على استعمال أبجدية موحدة بخط منفصل فيما يلي:

- 1- إحداث نهضة كبيرة في ميدان تصميم الخط العربي كما حدث مع الخط اللاتيني عندما ظهرت الطباعة و كما يحدث الآن مع الحاسب.
- 2- تسهيل طبع و نشر الكتب والمجلات والأخبار.
- 3- السرعة في إدخال، خزن و معالجة المعلومات بدقة و كفاءة عالية. و من التوصيات الملحة في هذا المجال إعادة تصميم توزيع الحروف العربية على لوحة مفاتيح الحاسب لتعكس قوة العربية الحقيقية.
- 4- يمكن استعمالها في عرض الأخبار على الألواح الإلكترونية بصفة واضحة و أنيقة.
- 5- الكتابة الرمزية على الجدران و الواجهات.
- 6- استعمالها لإعطاء بعد جديد للزخرفة العربية في المباني و المساجد.
- 7- استعمالها ككتابة معيارية لإعطاء وجه محترف للرسم الصناعي العربي.

و لأجل هذا، يجب أن يكون هنالك تكامل و تعايش تام بين الخطاطة اليدوية، التي لها فنياتها غير القابلة للتبسيط، و الخطاطة المطبعية، التي لها جوانب علمية و تقنية تقبل التحديث. والخط المعياري يساعد على رفع اللبس عن

هذه الأخيرة، حيث يمكن استعماله للسيطرة على المبادئ الأساسية للعربية، و بعد ذلك الانتقال إلى الخط المتصل، الذي يجب المحافظة عليه كما هو أثناء الكتابة باليد. بل أكثر من ذلك، يجب معارضة محاولات تبسيط الخط النسخي في الطباعة الحديثة، و التي أدت إلى الخلط بين عدة حروف، مثل الألف و الهمزة، الهاء النهائية و التاء المربوطة، الياء و الألف المقصورة. و هذا قد يكون له آثار وخيمة على فصاحة و دقة العربية إذا استمرت الأمور في هذا الاتجاه.

References

مراجع

- [1] J.H. Healy, The Early Alphabet, British Museum Publications, London, 1990
- [2] G. Le Bon, The World of Islamic Civilisation
- [3] V. Monteil, L'Arabe Moderne, Librairie C. Klincksieck, Paris, 1960
- [4] سلامة موسى، البلاغة العصرية و اللغة العربية، القاهرة، 1945
- [5] N. Khetar, Unified Arabic: Weapon against Illiteracy, Al-Kulliya, 30, 1955
- [6] يوسف غصوب، إصلاح الأبجدية العربية، المشرق، 1930
- [7] - زهير الشيهابي، مشروع لكتابة الحركات بحروف عربية، مجلة الأكاديمية العربية، عدد9، 1929
- [8] S.J. Attoma, 1961, The Arabic writing System and Proposals for Its Reform, The Middle East Journal, Washington DC, 15, 403-14
- [9] J.C. Catford, A practical Introduction to Phonetics, Clarendon Press, Oxford, 1988
- [9] P. Richard, A History of the French Language, Unwin Hayman Ltd, London, 1989
- [10] - ابن أحمد الخليل، كتاب العين، تحرير عبد الفتاح درويش، مطبعة العاني، بغداد، 1967
- [11] - سيباويه أبو بشر عمر، الكتاب، مطبعة المثنى، بغداد، 1968
- [12] - ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحرير مصطفى السقاء، مطبعة الحلبي، القاهرة، 954
- [13] - ابن سينا، رسالة في أسباب حدوث الحروف، تحرير شيخ محمد أشرف، لاهور، 1968
- [14] https://ar.wikipedia.org/wiki/ابن_مقلّة
- [15] http://arabetics.com/public/html/more/History%20of%20the%20Arabic%20Script_article.htm
- [16] http://www.sakkal.com/articles/simplified_arabic/survey.html;
http://www.sakkal.com/articles/Arabic_Type_Article/Arabic_Type1.html
- [17] <http://www.arabictype.com/blog/articles/problems-of-arabic-typefaces>
- [18] - R. Hamm, Pour une Typographie Arabe, La Bibliotheque Arabe, Sindbad, Paris, 1975